المستوى الثاني : وهو يتجاوز هذه المسائل التقعيدية إلى أمور جمالية ، تتمثل في العلاقات المتنوِّعة بين الكلمات ، ثم بين الجمل . فالعربية لها سماتها المميزة ، في مجال العَلاقات التركيبية ، التي أخذت اهتماماً خاصا من بعض النحاة ، حيث أدركوا أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبِّر عنها ، أو بمعنى آخر أدرك النحاة أن هناك ارتباطًا بين ما يسمى بالتراكيب ، وما يسمى بالمعاني أو الأفكار . فالبحث النحوي إنما نشأ في ظلال البحث عن الصواب والخطأ في الأداء ، ثم نمت هذه المباحث في محاولة لإعطاء دراسة بنية التركيب وما ينتج عنها من دلالة أهمية خاصة ، بعد أن مرت اللغة بأطوار استوعبت فيها بعضَ الثقافات الوافدة ، وخاصة في مجال المنطق وعلم الكلام ، وعلى أساسها قام النحاة في وجه المناطقة مؤكدين أن صناعتهم هي البحث عن المعنى بالدرجة الأولى ، وليس الأمر مجرد اشتغال بتغيُّر أواخر الكلمات .

وتأكد بهذا وجود النظام الفكري للغة بالنسبة للإفراد أو التركيب ، وكل تغيُّر يحدث لهذا التركيب ، إنما يرجع إلى الدلالة ومتطلباتها ، وبمعنى آخر ، فإن الدلالة هي التي تتطلب هذا التغيُّر . فالنحو أصبح سرَّ صناعة العربية ، وهو رابط الصيغ الذهنية ، وهو الذي يساعد اللغة على الوصول إلى تحقيق العملية الإبداعية الكاملة ، أي أنه أصبح – في كثير من مباحثه – منصبا على تحليل العلاقات القائمة بين الألفاظ ، ورصد خواص الوحدات الكلية بما فيها من علاقات تجاوريَّة يبدعها النحو ، أو لنقل هي التي تبدع النحو الخاصَّ بها .

وبهذا أصبح « الإعراب هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه